جمعية الدعوة الإسلامية العالمية

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

بسم الله الرحمن الرحيم

أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

صدق الله العظيم

أعمال المؤتمر العام الثالث

المؤتمر العام الثالث للدعوة الإسلامية

طرابلس 11-16 محرم الحرام 1396 من وفاة الرسول ﷺ

(الموافق 15-20 من الفاتح (سبتمبر) 1986 ميلادية)

حاجة المسلمين إلى الأخذ بأسباب التقدم العلمي والتقني

د. وحيد الدين خان

بسم الله الرحمن الرحيم

للأمير شكيب أرسلان (1946-1969) كتاب بعنوان **لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم**؟ وقد نشر هذا الكتاب قبل نصف قرن من الزمان. وقد قرأت مؤخراً مقالاً بمجلة رابطة العالم الإسلامي (عدد ابريل 1985) وكان عنوان هذا المقال هو «لماذا تأخرنا وتقدم غيرنا؟».

ويمكننا أن نستخلص من هذا أن مسلمي العصر الحاضر يواجهون سؤالاً منذ أكثر من نصف قرن وهو: لماذا تأخرنا عن الشعوب الأخرى في العصر الحاضر ولماذا تقدمت علينا تلك الشعوب؟.. ومن غريب الأمر أن اليابان نهضت من خراب الدمار الذري ووصلت أعلى مدارج الرقي خلال نصف القرن هذا بعينه. وقد نشر كتاب في الولايات المتحدة الامريكية مؤخراً يعترف بهذه الحقيقة.. وعنوان هذا الكتاب هو: **اليابان هي الأولى (Japan:Number One)**.

والوضع الذي يعاني منه المسلمون في العصر الحاضر لا يعود إلى سبب وهمي بل هو نتيجة لقانون إلهي معروف. وقانون الله لهذا العالم هو أن الجماعة التي تثبت أنها ذات نفع للآخرين هي التي يكتب لها الرقي والثبات. أما الجماعة التي تفقد صلاحيتها لنفع الآخرين فتتدحرج إلى الصفوف الخلفية

للأبد. وكان مسلمو القرون الأولى ذوي نفع للعالم. وعظمتهم في الماضي مردها إلى هذه الخاصية أما مسلمو العصر الحاضر فلا ينفعون العالَم، ولم تكتب لهم العظمة في العصور الأخيرة. والآية القرآنية التالية تذكر بوضوح هذا المبدأ لرقي الأمم وانحطاطها:

﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً، ومما توقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض، كذلك يضرب الله الأمثال﴾. [الرعد ـ الآية: 19].

هذه الآية تدلنا على قانون الله للدنيا، والذي يتمثل في أنْ لا بقاء ولا ثبات إلا للجماعة التي تبرهن على أنها نافعة للآخرين. أما الجماعة التي تفقد مقدرتها على نفع الآخرين فتفقد كل قيمة لها.

وبينما كتاب الله يبين هذا القانون العالمي بواسطة الكلمات، نجد من ناحية أخرى أن العالم المادي مظاهرة عملية لهذا القانون. والآية المذكورة من سورة الرعد تعطينا مثالين. أولهما مثال المطر، فنرى الزبد يطفو على سطح الأودية والأنهار ولكنه سرعان ما يختفي ويبقى الشيء الذي ينفع الناس وهو الماء والمثال الآخر هو مثال المعادن، فيظهر الزبد فوق المعدن عندما يتم تذويبه بواسطة الحرارة الشديدة ولكنه سرعان ما يختفي ويبقى المعدن الثمين الصافي.

بعض الأمثلة التاريخية:

التوحيد أكبر حقيقة في هذا العالم. وأمكن لمسلمي العصور الأولى باختيارهم التوحيد أن يظهروا كجماعة وأخوة متميزة أمام شعوب العالم فاستقبلتهم شعوب الأرض في كل مكان وانتفع بهم الناس شتى المنافع. ونذكر هنا بعض الأمثلة التاريخية:

1 ـ كان المسلمون هم أئمة العالم في عالم الطب لعدة قرون منذ تفجر الثورة الإسلامية. وكانت كبرى الشخصيات من كل أنحاء العالم ترجع إلى الأطباء المسلمين وكانت مؤلفات المسلمين الطبية هي المراجع المعتمدة لتدريس هذا العلم في كل مكان. وقد أنشئت أول كلية طبية أوروبية بمدينة ساليرنو بايطاليا في القرن الحادي عشر الميلادي. وكان المنهج الدراسي لهذه الكلية يشتمل إلى حد كبير على الكتب العربية التي ترجمت إلى اللاتينية. وقد كتبت دائرة المعارف البريطانية (طبعة 1984) في معرض ذكرها لهذا التطور «أن القرن الثاني عشر شهد برنامجاً بطولياً لترجمة الأعمال العلمية من العربية إلى اللاتينية. ومن الأهمية بمكان أن أول مدرسة طبية في أوروبا كانت بساليرنو ثم ظهرت مدرسة منافسة لها بمدينة مونت بيلييه، وكانت كلتاهما قريبة من المصادر العربية واليهودية». (ج 16، ص 368).

ويذكر البروفيسور حِتّي أن شخصاً من سكان مدينة كريمونا ويدعى (غيرارد) ترجم من العربية إلى اللاتينية الجزء الخاص بالجراحة من كتاب **التصريف لمن أعجز عن التأليف** للزهراوي. وصدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب في البندقية سنة 1497 وطبعة أخرى في بازل سنة 1541 وثالثة بأكسفورد سنة 1778. ويضيف حِتّي قائلاً: «إن المدارس الطبية بساليرنو ومونت بيلييه وغيرهما من الأماكن ظلت تستخدم هذا الكتاب كمرجع للجراحة لعدة قرون».

P.K. Hitti, History of the Arabs, 1979, p.577

ولو دخلت مستشفى أو كلية طبية اليوم فستجد أن كل شيء بها مدين للحضارة الغربية، لكنك لو كنت قد دخلت مدرسة طبية أو مستشفى قبل بضعة قرون فحسب لوجدت أن كل شيء به مدين للحضارة الإسلامية.. وهذا هو الفرق الأساسي الذي طرأ على ماضي المسلمين وحالهم.

2 ـ الجغرافيا من العلوم الهامة ولها علاقة بكثير من شُعَب الحياة، وكان مسلمو العصور الأولى قد

اكتسبوا مهارة عظيمة في هذا الفن. وكان الإدريسي أكبر عالم جغرافي في عصره. وقد وصفه البروفيسور حِتّي بأنه كان «أكثر جغرافيي العصور الوسطى امتيازاً». وكان روجر الثاني ملك صقلية في عصر الإدريسي. وحين احتاج هذا الملك إلى خريطة أعدها له هذا العالم الجغرافي. ويضيف حِتّي قائلاً: «كان الإدريسي ألمع مؤلف جغرافي وواضع خرائط في القرن الثاني عشر، بَلْهَ العصور الوسطى كلها، وكان ينحدر من أسرة أندلسية عربية مالكة. وكان قد تلقى تعليمه بالأندلس» (المصدر السابق، ص 568).

وتقول دائرة المعارف البريطانية (طبعة 1984) عن الخريطة العالمية التي أعدها الإدريسي للملك روجر الثاني سنة 1154 أنها كانت تحوي معلومات أفضل عن المناطق الآسيوية التي لم تكن متوفرة حتى ذلك الوقت (ج 11، ص 472).

ونجد اليوم أن البلاد الإسلامية تكتظ بالخبراء الغربيين. وكان المسلمون يمدون العالم بالخبراء في زمن ليس ببعيد. والمسلمون اليوم يأخذون من العالم بينما كانوا يعطونه قبل بضعة قرون فحسب.. فما أغرب هذا الفرق بين الماضي والحاضر.

3 ـ تصنع البلاد الغربية نقود البلدان الإسلامية اليوم ولو صنع بلد إسلامي نقوده الورقية أو المعدنية فيتم ذلك بفضل التكنولوجيا التي حصل عليها من الغرب. وكان المسلمون في زمن من الأزمنة يتمتعون بهذه المكانة على المستوى العالمي.

وقد نشر البروفيسور ديفيز H.W.C. Davis في كتابه **انجلترا القرون الوسطى** (Medieval England) صورة وجهي عملة ذهبية انجليزية قديمة، وقطعة من هذه العملة محفوظة اليوم بالمتحف البريطاني. ويحمل أحد وجهي هذه العملة كلمة الشهادة بالخط العربي ويحمل الوجه الآخر اسم أوفاريكس Offa Rex (المتوفى سنة 796 م) الذي كان يحكم انجلترا في ذلك الوقت، كما يحمل هذا الوجه اسم الخبير البغدادي المسلم الذي كان قد ضرب القطعة النقدية الأصلية. ويقول البروفيسور ديفيز في شرحه لهذه الصورة: «إنها عملة ذهبية انجليزية سكسونية تقلد الدينار العربي للعام 774 م». وهذه شهادة تاريخية تقول بأن مسلمي القرن الثامن الميلادي كانوا على درجة عظيمة من الرقي الصناعي لدرجة أن الملك الانجليزي أوفاريكس كان يأتي بالخبراء المسلمين من بغداد ليضربوا له النقود. والقطعة النقدية التي ضربت بانجلترا في ذلك الوقت كانت تقليداً للنقد الإسلامي (الدينار) لدرجة أنها كانت تحوي كلمة الشهادة بالخط العربي. ويمكننا أن نتخيل في ضوء هذا هيمنة الحضارة الإسلامية على سائر العالم قبل ألف سنة من الزمان.

4 ـ كان فاسكو دا غاما (1469-1524) ملاحاً برتغالياً. ويعزى إليه الفضل في اكتشاف الطريق البحري الذي يربط أوروبا بالهند عبر رأس الرجاء الصالح سنة 1497. ولكنه أحرز هذا النجاح العظيم بمساعدة الملاح العربي أحمد بن ماجد. وتقول دائرة المعارف البريطانية (طبعة 1984) أن فاسكو دا غاما حين وصل إلى افريقيا، أعطاه سلطان موزمبيق ملاحين مسلمين، وهجره أحدهما حين اكتشف أن البرتغاليين مسيحيون (ج 7. ص 861).

وكان ابن ماجد ملاحاً ماهراً لدرجة أنه كان قد ألّف كتاباً في علم الملاحة وكان هذا الكتاب دليله خلال رحلته هذه.

5 ـ كان اكتشاف العالم الجديد (أمريكا) من الاكتشافات التي تحققت في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. وينسب هذا الاكتشاف العظيم إلى كريستوفر كولمباس (1451-1506). صحيح أن كولمباس الايطالي هو الذي قاد هذه الرحلة إلا أن المسلمين هم الذين أعطوه الفكرة بأن يبحر بسفينته عبر المحيط الأطلنطي على أمل أن يصل إلى البر بعد المرور عبر هذا المحيط الضخم الذي لا يبدو أن له شواطىء على الجانب الآخر.

ويقول البروفيسور حِتّي: إن العرب حافظوا على النظرية القديمة القائلة بكروية الأرض والتي لم يكن اكتشاف العالم الجديد ممكناً بدونها. وكان أبو عبيدة مسلم البلنسي من المنادين بهذه النظرية وقد عاش بالأندلس خلال النصف الأول من القرن العاشر الميلادي. وترجمت هذه النظرية العربية إلى اللاتينية في كتاب نشر سنة 1410. واطلع كولمباس على هذه النظرية بقراءة هذا الكتاب. وكانت هذه النظرية تقول بأن الأرض مثل الكمثرى، وأن هناك مركزاً مرتفعاً على النصف الغربي من الكرة الأرضية مماثلاً للمركز المرتفع على النصف الشرقي منها (حِتّي، المصدر السابق، ص 570).

وخلاصة القول إن النجاح والفوز في الدنيا لمن يثبت أنه نافع للآخرين.. وهذا هو القانون الإلهي. وكان المسلمون الأوائل قد تألقوا بأعمالهم النافعة للآخرين ويمكن للمسلمين المعاصرين أن يتألقوا ويسموا بالعمل لنفع البشرية من جديد.

إن القانون الالهي لن يتغير للمسلمين، ولكن بإمكان المسلمين أن يغيروا أحوالهم باستخدام القانون الإلهي. ومن مزايا المسلمين الثابتة أنهم حملة كتاب الله المحفوظ، فلديهم أصح الهداية الالهية، وعليهم أن ينهضوا في ضوء هذه الهداية ويجعلوا أنفسهم نافعين للعالم من جديد. وهكذا سوف يثبتون أنهم أهل لكي يتحقق فيهم القانون الإلهي الذي يقول: **﴿وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾**.

مناقشات

د. مهدي أمبيرش

بسم الله الرحمن الرحيم

قرأت بتمعن الورقات التي كتبها الأستاذ الدكتور وحيد الدين خان والتي ذكر فيها أن معيار الخلاص والنجاح في هذا العالم هو بمقدار ما يقدمه الإنسان وينفع الناس، أنا أريد أن أضيف إضافة أخرى وهي أن التقدم العلمي أو التقني المادي لا علاقة له بإيمان أو كفر، له علاقة بالأخذ بأسباب العلم، إن النظرية أو المعادلة العلمية المعروفة حامض + فلز = ملح الحامض + ايدروجين. بغض النظر عن من قام بهذه المعادلة ،مسلم أومسيحي أو مادي، فالنتيجة العلمية واحدة. ولكن للايمان أو للاسلام مهمتين، المهمة الأولى هي الدعوة إلى الأخذ بأسباب العلم النافع ثم المهمة الأخرى هي توجيه العلم بما ينفع الناس، أما قضية العلم ذاته، القضية المادية فليست لها علاقة بإيمان أو كفر، ولهذا قد يعجب المسلمون عندما يرون الملاحدة متقدمين مادياً ويستغربون، والسبب هو أننا لم نأخذ بأسباب العلم، ولو أخذنا بها لوصلنا ولحققنا ما قاله السيد المفتي كفتارو، لأننا بالإيمان نستطيع أن نوجه العلم توجيهاً ينفع الناس وشكراً.